الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصّديق بن يحيى–جيجل

كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

السّنة الثّانية ليسانس
المجموعة الأولى / تخصّص: دراسات أدبية

محاضرات في مقياس
نظرية الأدب
-السّداسي الثّالث-

إعداد الأستاذة: جميلة بورحلة

السّنة الجامعية: 2023–2024م

المحاضرة 01: مفهوم نظرية الأدب

1- تعريف "النّظرية" لغة:

النظرية مشتقّة من الجذر (ن ظ ر)، ومنه النظر بمعنى حسّ العين وشعور القلب وتوقُّع الفضل، وهذه المعاني مجموعة في قول ابن منظور في "لسان العرب": «النَّظر: حِس العين، نظَره ينظُره نظَرا ومنظَرا ومنظرة ونظَر إليه. والمنظَر: مصدر نَظَر (...) وتقول نَظَرت إلى كذا وكذا مِن نظَر العين ونَظَر القلب، ويقول القائل للمؤمَّل يرجوه: إنما ننظر إلى الله ثم إليك أي إنما أتوقّع فضل الله ثم فضلك». النظر حسب هذا القول يحمل ثلاثة معاني: إبصار العين، وبصيرة القلب، وتوقع حصول أمر.

وورد حديثا في معجم "الوسيط": «(نَظَرَ) إلى الشيء -ُ نَظَرا، ونظْرا: أبصره وتأمله بعينه. و- فيه: تدبّر وفكّر. يقال: نظر في الكتاب، ونظر في الأمر. ويقال: فلان ينظر ويَعْتاف: يتكهن. و- لفلان رثَى له وأعانه. ويقال: انظر لي فلانا: اطلبه لي. و- بَيْن الناس: حكمَ وفَصَل بينهم. و- الشيءَ: أبصره (...) (النظريّ): يقال: أمر نظريّ: وسائلُ بحثه الفكر والتخيل. وعلوم نظرية: قلَّ أن تعتمد على التجارب العملية ووسائلها. (النظرية): قضية تثبتُ ببرهان. وفي الفلسفة: طائفة من الآراء تفسّر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية». النظر ههنا حسي ومعنوي؛ فهو من الناحية الحسية يعني مشاهدة العين، ومن الناحية المعنوية: التدبر والتأمل في عمق الأشياء وفيما وراء المظاهر للوصول إلى الحقيقة، وأيضا التأمل قصد التنبؤ أو التكهن بما يمكن أن يقع تبعا للواقع من مجريات الأمور والحوادث، يضاف إليها معاني العون والطلب والحكم في القضايا. أما النسبة الجديدة "النظري" فتستخدم للدلالة على المعارف التي تعتمد على تحليل الأفكار منطقيا وتخيّليا.

كلمة (*Theory*) الإنجليزية حديثة الاستعمال أيضا، وتكوّنت من الأصل الإغريقي (*Theoria*)، وتحمل هذه الكلمة دلالة مباشرة هي: المشهد أو المنظر، و(*Theoros*) هو: المشاهد، ثم اتسع معنى النظر مجازيا ليشمل التأمل أو التّفكر النظري، ويقابله التّطبيق (ينظر كتاب: طوني بينيت ولورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة-معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي).

2- تعريف "النظرية" اصطلاحا:

النظرية: «إطار فكري يفسر حقائق علمية ويضعها في نسق علمي مترابط، أو مجموعة من القضايا التي ترتبط بطريقة علمية منظمة، عن طريق مجموعة الفرضيات المتعالقة ضمن رؤية منتظمة. قد تكون النظرية كاملة أو جزئية أو متوسطة المدى؛ لأنها لا تنطبق إلا على مواضيع خاصة داخل فرع خاص. وتلعب النظرية دورا هاما في صياغة القانون الذي هو بمثابة تبيان للعلاقة الثابتة بين الظواهر المعنية، ولا يجعلها قابلة للتغير» (ينظر كتاب: صالح بلعيد، في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث). النظرية مجموعة من الأفكار والآراء التي تختص بمجال معرفي محدد، وهذه الأفكار ليست عشوائية بل تتقدمها فرضيات خاصة بموضوع ما، وينظمها منهج يفضي بالتحليل إلى نتائج تؤكد صحة الفرضية، وتفضي إلى صياغة القانون الذي يتحكّم في شبكة الأفكار المدروسة.

3- تعريف نظرية الأدب (*Theory of Literature*):

3-1 تعريف عربي:

يعرّف شكري عزيز الماضي نظرية الأدب في كتابه "محاضرات في نظرية الأدب"، بقوله: «نظرية الأدب هي مجموعة من الآراء والأفكار القوية والمتّسقة والعميقة والمترابطة، والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محدّدة، والتي تهتم بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته. وهي تدرُس الظاهرة الأدبية بعامة من هذه الزوايا في سبيل استنباط وتأصيل مفاهيم عامة تبيّن حقيقة الأدب وآثاره». نظرية الأدب هي مجموعة من الأفكار والافتراضات التي يطرحها منظّر الأدب بخصوص سؤال معين، ثم يتدرّج في مناقشة هذا السؤال عبر مجموعة من الأفكار المتّسقة والمترابطة، محاولا بلوغ نتيجة معقولة ومقنِعة بحسب منهجيته المتّبعة في التحليل والاستدلال والاستنباط، تاركا المجال لغيره من أجل مناقشة السؤال من خلال أفكار أخرى ومنهجية مختلفة.

3-2 تعريف غربي:

نظرية الأدب حسب جوناثان كولر (*Jonathan Kuller*): «ليست تقريرا لطبيعة الأدب أو مناهج دراسته، على الرغم من أن هذه الموضوعات تشكل جزءا من النظرية (...) وإنما هي مجموعة من الممارسات في التفكير والكتابة لها حدود يصعب للغاية وصفها» (ينظر كتاب: جونثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام). وصعوبة تحديد مفهوم النظرية الأدبية حسب كولر بسبب من طريقتها التكوينية؛ فكل نظرية تقوم على "تأمل فكرة"، أي تقديم شرح غير واضح ومقعد نوعا ما بشأنها، مما يفتح المجال للجدال والشك، فتغدو الفكرة غير أكيدة فتتولد حينئذ نظرية. وهي بهذا المعنى تحمل معنى الفرضية وتتجاوزه في آن؛ لأنّ الباحث العلمي يصل في نهاية بحثه إلى تأكيد أو دحض الفرضية المقدّمة في أول بحثه، بينما المنظّر لا يمكنه تأكيد فرضيته أو دحضها بسهولة.

* * *

المحاضرة 02: علاقة نظرية الأدب بتاريخ الأدب ونقد الأدب

هل يتحدد وجود نظرية الأدب بما تأخذه من أدوات ومفاهيم وأفكار من علمي التاريخ والنقد؟ أم أنها الأصل السابق الذي يستند كل من تاريخ الأدب ونقد الأدب إلى أدواته ومفاهيمه ونتائجه؟

أولا- علاقة نظرية الأدب بتاريخ الأدب:

- **ماهو تاريخ الأدب (*Literature History*)؟** يعرّف أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب بأنه: «وصف مسلسل مع الزّمن لما دوّن في الكتب وسجّل في الصحف، ونقش في الأحجار تعبيرا عن عاطفة أو فكرة، أو تعليما لعلم أو فن، أو تخليدا لحادثة أو واقعة، فيدخل فيه ذكر من نبغ من العلماء والحكماء والمؤلفين وبيان مشاربهم ومذاهبهم وتقدير مكانتهم في الفن الذي تعاطوه ليظهر من كل ذلك تقدّم العلوم جميعا أو تأخّرها» (ينظر كتاب: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي). التاريخ الأدبي وصف مرحلي للمدوّنات والوثائق الفنية سواء أكانت مخطوطات أم كتبا

أم صحفا أم نقوشا، وهذه المدونات تنقل أفكارا ومشاعر وحوادث لها علاقة بالأدباء والعلماء والحكماء الذين يصف أعمالهم الفنية.

– **حاجة التّاريخ الأدبي للنظرية الأدبية:** يرى رنيه ويليك (*René Wellek*): «أن تطوّر التاريخ الأدبي وعملية انقسامه إلى عصور مختلفة يجب أن يؤسّسا بمعايير أدبية بحتة، وذلك عن طريق دراسة "أنساق" الأشكال الأدبية، ومعاييرها، وتقاليدها المصطلح عليها، وأن هذا التاريخ الأدبي هو التتبع للتحولات التي تطرأ على أنساق الأشكال الأدبية من نسق إلى آخر» (ينظر كتاب: ك. نلوولف وآخران (تحرير): موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي–القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية). يستعين المؤرخ الأدبي بمعرفة نظرية عن الأدب، تتعلّق بمختلف الأشكال الأدبية أي أنواع الأدب وخصائصها وما يميز بعضها عن بعض، حتى يتمكن من تتبع التحولات الطارئة عليها وتقسيم العصور تبعا لها.

– **حاجة النظرية الأدبية لتاريخ الأدب:** يستفيد المنظر الأدبي من المعرفة التاريخية بالأدب من ناحية تصنيف الأفكار والأساليب عبر العصور، ومن ناحية رصد تحولاتها، لأن هذه المعرفة من شأنها تسهيل مهمة المنظر في حصر النظريات الأدبية الفرعية المخصوصة بعصر معين، وأيضا تحفيزه على إكمال نظرية لم يستطع إنهاءها إلا بتأمل مختلف التحولات الأدبية التي يعود الفضل في إدراكها إلى مؤرخ الأدب.

ثانيا– علاقة نظرية الأدب بالنقد الأدبي:

– **مفهوم النقد الأدبي (*Literary Criticism*):** يقوم النقد الأدبي على الفهم والتحليل والتقدير والموازنة، ويعتمد على الذوق المهذب المصفى الذي هو مزاج من العقل والعاطفة والخيال، وثمرة لمواهب فنية ودراسات قويمة.

– **الفرق بين النقد والأدب:** يكمن الفرق بين النقد والأدب في أن الأدب سابق والنقد لاحق، الأدب ذاتي يصوّر شخصية الأديب ومواهبه الخاصة، ولكن النقد مزيج من الذاتية والموضوعية فهو مقيَّد بأصول علمية مقرّرة من جهة ومتأثّر بذوق الناقد ووجهة نظره من جهة ثانية، وهذا يدل على أن الأدب فن خالص والنقد فيه من العلم والفن، وأخيرا يكون الأدبُ إنشاءً والنقد وصفا حسب الاصطلاحات الحديثة (ينظر كتاب: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي).

– **علاقة التأثير والتأثر بين النقد ونظرية الأدب:** وجب على الناقد أن يتسلّح بمبادئ ومعايير نظرية الأدب، بحيث لا يمكنه التعامل مع النص الأدبي إلا وفي ذهنه مجموعة من المفاهيم النظرية المسبقة. غير أن نظرية الأدب لا تقف موقف المفيد دون المستفيد؛ فمبادئها وأسسها تتحقّق أيضا من خلال دراسة الأعمال الأدبية، وهذا ما طبّقه أرسطو حين بنى نظرياته انطلاقا من استقراء الأعمال الأدبية لعصره، كما أن أي تبديل أو تغيير فيها ينشأ بفضل زيادة خبرة المنظرين في تلك الأعمال، وبهذا يتحقق التفاعل بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.

* * *

المحاضرة 03: طبيعة الأدب

1- الأدب عند العرب:

1-1 المعنى المعجمي لكلمة "أدب":

وردت الكلمة في أوّل معجم عربي بمعنى حسّي: «والآدبُ: صاحبُ المأدُبة (...) والمأدُبة والمأدَبَةُ، لغتان: دعوة على الطعام» (ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، مج 01).

ثمّ ظهرت في "لسان العرب" لاحقا بمعنى خلقي نفسي بجوار معناها المادي، ممّا يدلّ على وجود تحوّل مجازي في المعنى، قال ابن منظور: «الأَدَبُ: الذي يتأدّبُ به الأديبُ من الناس؛ سُمي أدبًا لأنّه يأدِب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدْب الدعاءُ، ومنه قيل للصّنيع يُدعى إليه الناسُ: مدعاة ومأدُبة (...) الأدبُ: أدَبُ النفس والدرس. والأدَبُ: الظَّرفُ وحسنُ التناوُل (...) والأُدْبةُ والمأدَبةُ والمأدُبة: كلّ طعام صُنع لدعوة أو عرس (...) والأدْبُ مصدر قولك أدَبَ القوْمَ يأدِبُهُم، بالكسر، أدْبًا، إذا دعاهم إل طعامه. والآدِبُ: الداعي إلى الطعام».

1-2 الاستخدام القديم لكلمة "أدب":

كلمة "أدب" قليلة الورود في آثار الجاهليين، وقد احتملت في زمنهم معنيين: معنى حسّيا مفاده الدعوة إلى الطعام، ومعنى نفسيا روحيا مفاده الاتّصاف بحسن الخُلق وتقويم الطباع و«ردُّ النفس إلى حدود مصطلح عليها اصطلاحًا وراثيا» (ينظر كتاب: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه واعتنى به: درويش الجويدي، ج 01).

وتوارى ذلك المعنى المادي (الدعوة إلى الطعام) وراء المعنى الخُلقي الذي بقي مستمرًا في عصر صدر الإسلام، وأضيف إليه العنصر التثقيفي تماشيًا مع قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «أدّبني ربيّ فأحسن تأديبي، وربيتُ في بني سعد» (ينظر كتاب: مجد الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، ج 01)، فلفظة التّأديب هُنا لا تحمل معنى التهذيب الخلقي وإنّما تعني التّثقيف والتعليم.

وفي العصر الأموي تضاءل هذان المعنيان أمام المعنى الجديد الذي انتشر بظهور فئة جديدة في المجتمع الأموي، والتي اتخذت لقب: "المؤدّبون"، وجعلت من الأدب مصطلحا يختص بتعليم أبناء الخلفاء والأمراء صنوف الثقافة العربية من شعر وخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيّامهم المتناقلة منذ العصرين الجاهلي والإسلامي، باستثناء ما يخصّ الشريعة الإسلامية من تفسير للقرآن ودراسة الحديث الشريف والفقه، فقد كانوا يُطلقون على الجنس الخاص بتعليمها لفظ "عِلْم" (ينظر كتاب: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي).

وفي عهد العباسيين ضاق مفهوم الأدب وعاد إلى ما كان عليه من معرفة الشعر والنثر وما يتّصل بهما من أخبار وأنساب وأيّام (ينظر كتاب: أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب). واستتبع هذا الضيق تطوّر آخر وهو انفلاتُ هذه المعرفة الأدبية من قيد التعليم عن طريق الرواية وتدوينُها في كتب أدبية مستقلّة خاصّة بها، مثلما استقلت العلوم اللّغوية بمخطوطاتها الخاصّة. وقد كانت هذه الكتب الأدبية محور اهتمام قارئ الأدب في تلك الفترة، وأهمها: "البيان والتبيين" للجاحظ، "الكامل في اللغة والأدب" للمبرّد، "عيون الأخبار" لابن قتيبة... وغيرها. وقد جمعت إلى

جانب صناعتي الشعر والنثر وما يتّصل بهما من أخبار قضايا بلاغية ونقدية كما في كتاب الجاحظ، وقضايا لغوية في كتاب المبرّد (ينظر كتاب: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي).

وفي نفس الفترة (القرن الثالث الهجري) ألّفت كتب استخدمت الكلمة للدّلالة على معان متعددة يستقل كلّ منها بطبقة خاصّة من الناس أو النشاطات، منها: "أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"أدب النديم" للشاعر كشاجم، كما أفردت كتب أخرى في أدب الوزير وأدب القاضي وأدب الحديث، وأدب الطعام، وأدب السفر... و لم تبتعد هذه المصنّفات رغم تخصّصها الطبقي عن إيراد الشواهد الشعرية وأخبار الشعراء (ينظر كتاب: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي).

1-3 الاستخدام الحديث لكلمة "أدب":

تَتابَع استعمال لفظة "أدب" في البيئة العربية إلى غاية العصر الحديث، ولكنّها وصلته محمّلة بضعف القيمة الفنية الجمالية، إثر الانهيار السياسي والاجتماعي للدّولة الإسلامية في العصر الوسيط. فجرى تبعا لذلك استعمال العرب المحدثين للكلمة وفق المعاني التّي تحملها اللفظة الغربية (*Literature*)، وخصوصًا بعد الانفتاح العربي على الفكر الأوروبي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (ينظر كتاب: عبد القادر الرباعي، في تشكل الخطاب النقدي-مقاربات منهجية معاصرة). أي أنّهم استخدموا كلمة "أدب" العربية ليعبّروا بها عن المفهوم الغربي الحديث للكلمة الأجنبية وليس عن محمولاتها القديمة لأن (*Literature*) تمتلك هي الأخرى ميراثا تاريخيا متعدّد الرؤى يشابه إلى حد ما تاريخ كلمة "أدب" العربية من ناحية معناها الواسع وإشارتها إلى اكتساب الصّفات الحميدة والأخلاق الحسنة.

2- الأدب عند الغرب:

- المعنى المعجمي لكلمة (*Literature*)، وأهم استخداماتها الحديثة: ترجع الكلمة إلى الأصل اللاّتيني (*Littératura*) الذي يُستخدم بمعنى مطابق لمعنى لفظة (*Gramatiké*) اليونانية: وتعني المعرفة بفن كتابة الحروف، ثمّ اتّسع معناها فصارت تدل ابتداء من القرن الثامن عشر للميلاد على علم الأدب، والثقافة الأدبية التي يلتزم الأديب بتحصيلها، وكذا ظروف حياته. كما أطلقت على كلّ ما له علاقة بالمعرفة المكتبية (الببليوغرافيا) أي كلّ ما كتب قديما. وطرأ أوّل تحول في معنى اللفظة في ألمانيا ابتداء من سنة 1759م عندما استعمل ليسنغ (*Gotthold Ephraim Lessing*) الكلمة اللاتينية ليعبّر بها عن النتاج الأدبي الحديث لعصره. وبعد سنة 1770م استعملت اللفظة مقرونة بصفة فكانت تدل تارة على نتاج بلد ما وتارة تشير إلى نتاج فترة زمنية محددة، و لم يجر استعمالها مفصولة عن تلك الصفات إلاّ مع المنظّرة الفرنسية السيدة دي ستايل (*Madame De Staël*) التي استخدمتها لتعبّر بها عن النشاط الأدبي بصفة عامة، فوجهت النظر إليه في حدّ ذاته دون تخصيصه ببلد معيّن أو فترة ما، وذلك في كتابها: "في الأدب منظورا إليه من علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية" (*De la littérature considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*)، المنشور سنة 1800م، فجرى التفريق بعدئذ بين الأدب بوصفه صناعة إبداعية وبين دراسته (ينظر كتاب: نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار).

لكن أهم ما حققه مصطلح الأدب عند الغربيين هو انفصاله عن مصطلح "الآداب الجميلة" (*Belles Lettres*) الذي ارتبط بشكل عام بكلّ ما له علاقة باللياقة النبيلة والمعاملة الجيدة والأناقة الناعمة والفنون

الجميلة. وارتبط بشكل أخصّ بفنّي الشعر والبلاغة، دون النثر، ليعبّر من خلالهما عن القيم الثابتة التي تمثّلها مفـــاهيم الحقيقة والجمال والسمو، وهذا ما تجاوزه مفهوم الأدب ابتداءً من القرن التاسع عشر تماشيا مع صعود الرواية التّـــي صارت من أجناسه الهامّة، والتي أخرجته من بوتقة الأرستقراطية إلى عامّة الشعب، فتوارى البعد الجمالي خلف البعد الاجتماعي الذي صار البعد المميّز للأدب (ينظر كتاب: فانسان جوف، رولان بارت والأدب، تر: محمد سويرتي. وكتاب: نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار).

* * *

المحاضرة 04: وظيفة الأدب

1- وظيفة الأدب في العصرين اليوناني والروماني:

أقدمُ ما ذُكر بخصوص وظيفة الشاعر أنها: "الإمتاعُ الذي يولّده نوعٌ من الشّعر" عند هوميروس (*Homeros*)، و"التعليمُ أو نقلُ رسالة سماوية" عند هِسْيود (*Hesiod*). واشترطَ أفلاطون (*Plato*) في الشّعر المقبول في جمهوريته الالتزامَ الأخلاقي؛ إذ رَتّب أجناسَ الشعر حسب درجة خدمتها للأخلاق، فجعلَ في أعلى المراتب الشعرَ الغنائي الذّي يتغنّى بالأبطال وأمجادهم، تلِيه الملحمة، ثُمّ المأساة والملهاة في أدنى المراتب لِتأثيرهما السلبي في أخلاق الناس وتهييجهما للانفعالات، وهو ما يتنافى مع الأهداف الأخلاقية المثالية التي يسعى أفلاطون إلى ترسيخها، والتي تشترط في الفن تجفيفَ العواطف بدل إغراقِ الناس بها.

في المقابل لم يجد أرسطو طاليس (*Aristotle*) بأسا من إثارة المأساة للمشاهدين، لأنها مرحلةٌ ضرورية تؤدّي إلى تطهيرهم من انفعالاتهم من خلال ما تثيره فيهم من مشاعر الرحمة والخوف، ووظيفةُ الملهاة أيضا تطهيرُ المرء من انفعالاتِه ولكن من خلال سرورِه وضحكه. أما مهمةُ الشاعر أو وظيفتُه فقد حدّدها أرسطو برواية الأحداث الممكنة الوقوع، فيمتلك بذلك المعرفةَ الكلية التي تمكّنه من زعزعة مكانةِ الفيلسوفِ ومنافستِه عليها.

وفي العصر الروماني ذاع موقفُ هوراس (*Horatius*) الذي جمع بين الوظيفةِ الإمتاعية للشعر ووظيفتِه التعليمية، وتوطَّدَ هذا الجمعُ في عصر النهضة مع فيليب سِدْني (*Philip Sidney*) الذي جمعَ هو الآخر بين المتعة والتعليم، إضافة إلى إعلائِه من شأن المتعة بجعلها الوسيلةَ المثاليةَ لجذب الناس إلى الفضيلة. ولكن الوثاق القائم بين المتعة والفائدة أو التعليم -عند كل من هوراس وسدني- سرعان ما خفّ ثقله أمام تفاقم إشكالية وظيفة الأدب التي تفرَّعَت حلولُها بين متعصِّب للأخلاق، ومتعصّب لتصوير الحياة الواقعية ونصرةِ قضايا المجتمع، ومهتَمٍّ بالأساليب الفنية لا أكثر.

2- وظيفة الأدب في العصر الحديث:

2-1 الوظيفة الأخلاقية:

أكثرُ المنتصرين للأخلاق تعصّبا ماثيو أرنولد (*Matthew Arnold*) الذي ضخّم الوظيفةَ الأخلاقية للشعر بتكهّنه علوَّ مرتبة الشعر على مرتبة الدّين في يوم من الأيام، وعلى الفلسفة والعلم كذلك؛ فبَعْد أن طبعَت الماديةُ حياة

الناس واجتاحَتْها، لم يعد الدين والفلسفة والعلم أدوات رائدةً في تعزيز الأخلاق وتوطيدِها، وما تنقُلُه من حقائق ناقص مزيف، وهذا ما أوحى إلى أرنولد تصوّرَ قربِ خلافةِ الشعر للدين على القيم الأخلاقية الثابتة الخالدة. في المقابل جعل ليو تولستوي (*Leo Tolstoy*) الفنَّ خادما للدّين أو داعية له، واستثنى منه كل فن لا يخدم أهدافه.

2-2 الوظيفة الفنية:

تبع دعاةَ الفن للأخلاق دعاةُ الفن للفن الذين تعصّبوا -ردا على سابقيهم- لصورة الفن أو شكله دون مضمونه، فنحَوْا منحى مثاليا عَزَلهم عن واقع الحياة وتقاليدها ونظمها، بسبب انشغالهم بالتجربة الخيالية التي لا تسعى إلى هدف مخصوص سوى الإحساس بالجمال.

2-3 الوظيفة التأثيرية:

سعى التأثُّريون مسعى مثاليا أيضا، وهم يحصرون وظيفةَ الأدب في إثارته للمشاعر التي تبعث بها القراءةُ المباشرة، فكان احتفاؤُهم بوقع المشاعر والأحاسيس في نفوسهم بالغا، وحديثُهم عن رحلاتهم العاطفية الانطباعية واسعا، إلى حدّ الانحراف عن الأثر الفني والغلوّ في التعبير عن الذات المنفعِلَة.

2-4 الوظيفة الاجتماعية:

أما الاتجاه الواقعي فيتخذ الأدبَ أداةً نفعيةً مهمتها تصويرُ حياة الناس والعلاقات الاجتماعية، وخدمة قضايا المجتمع من أجل تحقيق المساواة والتقدم.

3- الاتجاه التّوفيقي:

وظيفة الأدب في رأي أحمد أمين يجب ألا تميل نحو المنفعة أو نحو إثارة العاطفة كلّ على حِدة، وإنما وجهتُها هي الانتفاع بالحقائق المعروفة، لا تعليمها، وإثارةُ العواطف من خلالها بدرجة تزيد عمّا كان يشعرُ به الناس من قبل. أي إن الأديبَ ليس مجرد خادم للحقيقة والواقع، بل إنه يعيد صياغتهما ويحوّلهما إلى مشروعين جديدين بواسطة أساليبه الفنية المبتكرة، التي تمكنه من تشكيل الموضوعات المتكررة أو الثابتة العديد من المرات، وهذا ما يجعل الأدبَ صياغةً فنية معبرة عن موقف من الوجود؛ فيكون ممتعا بما فيه من جمال فني من جهة، ومفيدا بمضامينه الأخلاقية والمعرفية من جهة ثانية، فجماله هادف معبر عن فكرة معينة.

(تنظر الكتب التالية: أحمد أمين: النقد الأدبي/ شكري عزيز الماضي: محاضرات في نظرية الأدب/ محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر/ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث).

* * *